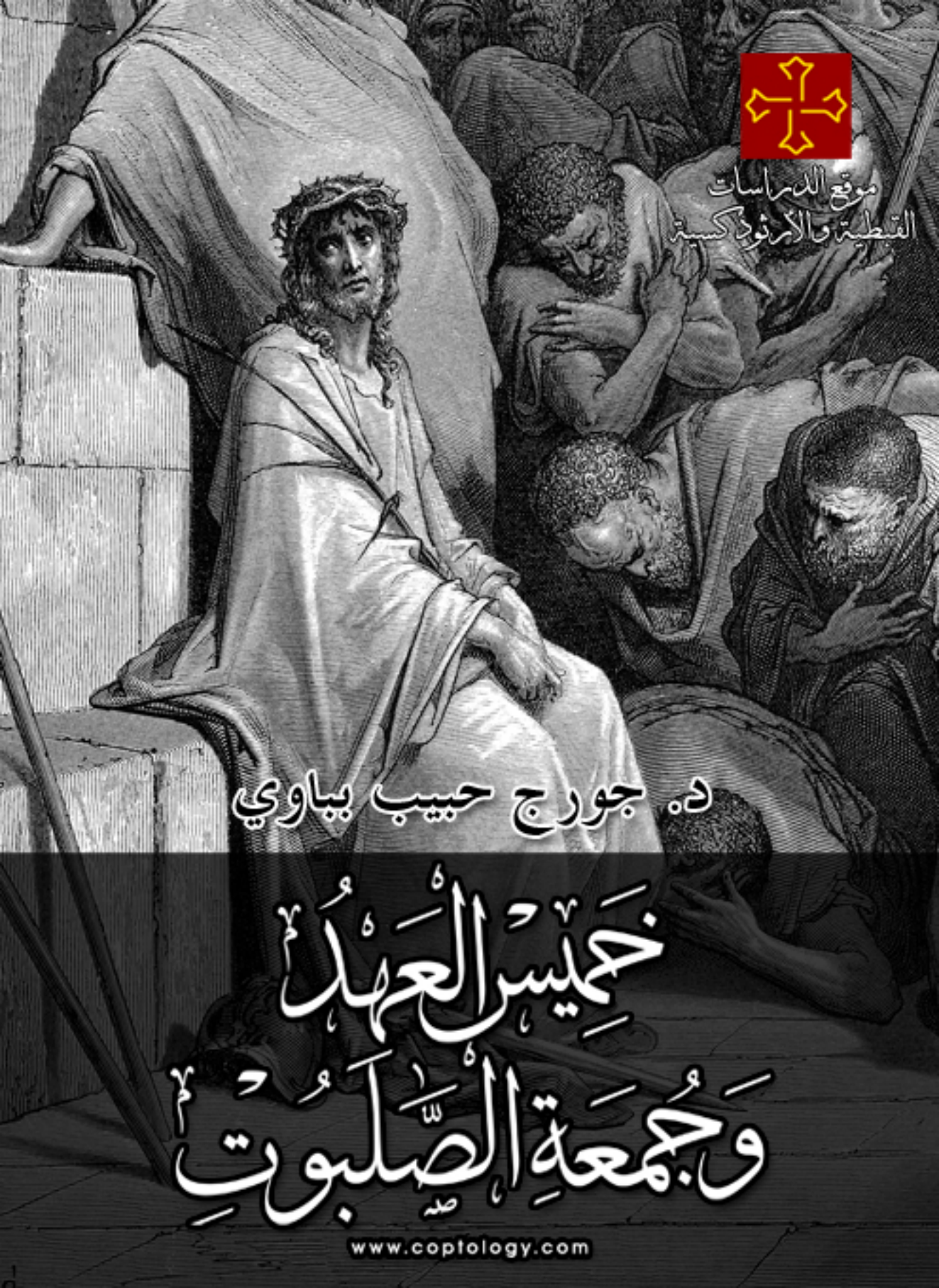

موقع الدراسات
القبطية والأرثوذكسية

د. جورج حبيب بباوي

خَمِيسُ العَهْدِ وَجُمعَةِ الصَّلَبُوتِ

www.coptology.com

Coptology

Ⲍⲁⲛⲱϣ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ

خَمِيسُ الْعَهْدِ وَجُمُعَةِ الصَّلَبُوتِ

دكتور

جورج حبيب بباوي

إبريل ٢٠١١

www.coptology.org

خميس العهد وجمعة الصلبوت

يقول رسول الرب: "بهذه الإرادة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة" (عب ١٠: ١٠). لا يجب أن نخطئ في الفهم الدقيق والصحيح لكلمة "إرادة"، فهي إرادة سبقت الخلق حسب قول الشاهد لآلام المسيح "انكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب .. بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ولكن قد أظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم" (١ بطرس ١: ١٩ – ٢٠). لقد سبق التدبير خلق الإنسان، وحسب قول الرب نفسه: "لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً، ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها وسلطان أن آخذها أيضاً. هذه الوصية قبلتها من أبي" (يو ١٠: ١٧ – ١٨).

طقس التدبير الإلهي:

سبقت محبة الله الآب خلق العالم وخلق الإنسان. فالمحبة الإلهية لم تنشأ ولم تتكون في الزمان، بل كل ما هو في الحياة الإلهية سابق على كل الأزمنة. فالمحبة أزلية.

ولم يكن تدبير الخلاص رد فعل re-action لسقوط الإنسان، بل هو حركة المحبة الإلهية الحرة التي لا تحركها أزمة أو مأساة، كأن الخالق لا يعلم مسبقاً بما سيحدث للإنسانية، وكأنه لم يدرك أن حرية الاختيار عند الإنسان سوف تدفعه نحو

اختيار ذاته وتفضيل ذاته على الشركة مع الله. ومع ذلك لم يكن أمام المحبة أن تتراجع أمام ما نعطي له اسم "الخطية"، وكأن الخطية مانعٌ صعب الاجتياز وسدٌّ منيع لا تقدر المحبة أن تجرفه. فالخطية لا يمكن أن تحدد حرية الله أو تمنعه من أن يخلص الإنسان.

هكذا سبق التدبير السقوط، ولم يكن بسبب السقوط، ولم تكن محبة الآب للابن حادثة بسبب التجسد، ولم تكن إرادة الابن أن يقدم ذاته متجسداً لأجل حياة العالم بسبب خطية الإنسان، بل كان تجسده استعلان المحبة الإلهية التي جاءت بفيضٍ جرف أمامه كل توقعات الإنسان.

لقد غلب طقس التدبير كل نظريات اللاهوت، وضرب جذر الفلسفة بكل مدارسها، فهو مثل النور لا يمكن أن يُغلق عليه. وعندما قال الآباء في المجمع الأول (نيقية ٣٢٥م) إن الابن له المجد "نور من نور"؛ فلأنه لا يُحد ولا يُجس، ولا يمكن أن تُقيَّد حركة النور بنظريات العقل طالما أن مصدر النور ليس هو عقل الإنسان.

الإرادة الواحدة للابن المتجسد:

إرادة واحدة من إرادتين، في أقنوم واحد متجسد، هو "واحد من اثنين"، إله مساو للآب أزلياً ومساو لنا حسب التدبير. هكذا صاغ آباء المجمع الثالث (أفسس ٤٣١م) وبعده حقيقة المحبة الأزلية التي تنازلت لكي تأخذ وتتحد بما هو مختلف تماماً عنها، وهي الإنسانية. وهكذا يجب أن نفهم "نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم"، فقد نزل بكل ما تعني هذه الكلمة من حركة التواضع الإلهي:

- أخلى ذاته

- أخذ صورة العبد
- وُجِد في هيئة الإنسان
- وضع نفسه
- أطاع حتى الموت
- موت الصليب (فيلبي ٢: ٧ - ٨).

لم يكن هذا عملاً زمانياً رغم أنه تم في الزمان عندما ألقى الابن ذاته في داخل تاريخ وزمان الإنسانية، بل عملاً أزلياً – زمانياً وحَّد الأزلية مع الزمان لأن فيه "يحل كل ملء اللاهوت جسدياً" (كولوسي ٢: ٩). وفيه تم إلغاء كل الفواصل بين الله والإنسانية، وهكذا وصل الزمان إلى نهايته أو كماله أو ملئه (غلا ٤: ٤) لتتحد الإرادة الإلهية بالإرادة الإنسانية وتتجلى أزلية المحبة في زمان البشر.

العُلِّية وفعل التقديم والذبح:

لقد قدَّسنا بإرادة التقديم (عب ١٠: ١٠) وجوهرة ثمينة جداً ذلك التعبير الدقيق "مرةً واحدة". هي سابقة على خلق العالم، هي إرادة شخص وليس حدثاً Event يفرض ذاته على الشخص. الشخص هو خالق كل الأزمنة، وهو محور وقلب التدبير، والعمل الإلهي "مرةً واحدة". الخلق "مرةً واحدة"، ولأنه مرةٌ واحدة استمر في الزمان. التجسد مرةً واحدة، ولكنه حمل في داخله الولادة – النمو الإنساني – المعمودية – تجارب البرية – الصلب – الدفن – القيامة – الصعود. هذه كلها استعلانات وظهورات إلهية، وهي كلها "مرةً واحدة". لا تكرار لأي عمل الهي.

العمل الإلهي يأخذ مكانه في طقس التدبير لا لكي يبقى حدثاً Event يخضع للزمان، ولا ليبقى عملاً إلهياً ساكناً Static، فالسكون هو خضوع للزمان، وهو

سكون الموت عندما تتقدم القوة أو تتراجع بسبب الضعف. بهذا يختلف اللاهوت عن الفلسفة وعن سائر العلوم الإنسانية. أعمال الله حركة ليس فيها استاتيكية Static وإنما خلف الكلمة اليونانية التي تترجم طاقة توجد الديناميكية Dynamism فالمحبة لا تعرف السكون، بل تعرف البذل، والبذل حركة جوهر المحبة أو هو طبيعة المحبة.

نخطئ عندما نسأل متى وكيف قدم الابن ذاته؟

السؤال عن الزمان والمناسبة بعيد تماماً عن دائرة التدبير. المحبة لا يُقيِّدها زمان ولا تحد حركتها مناسبة، بل عندما تنتظر فهي لا تبحث عن المناسبة Circumstances بل تنتظر تحقيق "خطة" التدبير، أو هي تسير حسب طقس التدبير.

لقد ضاعت من مؤلفات العصر الوسيط الكثير من المصطلحات اللاهوتية، فقد ضاعت كلمة ακολουθια وهي "ترتيب". أكثر الاستعمالات وردت في كتابات القديس كيرلس الكبير حيث وردت الكلمة على الأقل ٣٥ مرة. أحد المعاني الأساسية هو "ترتيب التدبير أو الخلاص"، وقد ورد في العظة ٥ في السلسلة الذهبية لآباء الكنيسة اليونانية (مجلد ٤٦ عامود ٨٦٤) "ترتيب التدبير" الذي بدأ بالخلق إلى الشركة في الطبيعة الإلهية وتأليه الإنسان.

لا يوجد قبل أو بعد في التدبير، ولا يوجد استعلان يلغي ما سبقه:

* بل ولد في بيت لحم، ونما كإنسان حسب خواص الإنسانية؛ لأنه لم يأت لكي يدمر الإنسان، بل يعيده إلى الحياة.
* وعندما نما وكبر في القامة، مُسح بالروح القدس لكي يحفظ لنا ذات المسحة.
* هزم الشيطان؛ لكي يغلب الإنسان الشيطان حسب التدبير، ولكي يُعلن سلطانه على الأرواح الشريرة بعد تجارب البرية.

* صُلب على الصليب، وسحق الشيطان وقوته (كولوسي ٢: ١٥).
* قام من الأموات، ورد هبة الحياة الأبدية للإنسان (رو ٦: ٢٣).
* صعد إلى السموات لكي يعطي للإنسان أن يجلس معه على ذات العرش الإلهي (رؤ ٣: ٢١).

هذا هو "طقس التدبير أو ترتيب التدبير"، ويبقى السؤال الذي يُحيِّر عقول لم تستوعب استعلانات الله بعد: أين نضع تسليم الجسد والدم في العلية بعد أن نسخ الرب يسوع فصح اليهود؟

خميس العهد يسبق جمعة الصلبوت، وجمعة الصلبوت تسبق القيامة. هذا هو ترتيب التدبير والعلاقة الزمانية مشكلة العقل اليوناني الفلسفي، أمَّا العلاقة الكيانية أي ما يحدث ويتم في كيان إلهي – إنساني هو الاتحاد الاقنومي Hypostatic Union فهو بالتحديد علاقة اللاهوت بالناسوت في شخص يسوع رب المجد.

إنها ليست علاقة سكونية Static ولا هي علاقة اتحاد مثل اتحاد المعادن. لقد غلبت الأوطاخية فكر البشر الذين لا يمارسون المحبة؛ لأن المحبة التي تبيد الآخر وتقضي عليه هي ليست محبة، بل هي الشر ذاته وهي تسلُط الخطية، ولكن الذي جاء لكي يخلص البشر لا تسود عليه الخطية، ولا يقوى عليه الموت الذي جاء برغبات التدمير والسحق في الإنسان. الاتحاد الأقنومي هو آية المحبة الإلهية: القوة تخضع للضعف الإنساني، والحكمة تقبل الجهل، والمعرفة تتواضع أمام الرحمة والمحبة.

كيف قدَّم ذاته قبل أن يُصلب؟

هل كان الصلب عملاً فُرض على الرب، وهل كان الرب ضحية مكر اليهود وقساوة الرومان وساقته الظروف Circumstances إلى الجلجثة؟ لقد قال الرب: "من

أجل هذه الساعة أتيت" (يوحنا ١٢: ٢٧). وقبل عيد الفصح "علم يسوع أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب" (يوحنا ١٣: ١)، لقد عَرِفَ الرسول هذه الساعة لا سيما بعد أن تم التدبير "إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم" (يو ١٣: ٢)، ولم يقف الإنجيلي عند هذا، بل قال: "يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شيء إلى يديه وأنه من عند الله خرج وإلى الله يمضي" (يوحنا ١٣: ٣). هكذا استعلن التدبير، فقد غسل الأرجل، وسلَّم جسده ودمه قبل أن يُصلب. إنها الإرادة السابقة على الزمان، الإرادة السابقة على خيانة يهوذا وعلى مكر اليهود. يسوع يعلم أن الآب قد "دفع كل شيء إلى يديه"، وعلى ذات اليدين حمل جسده بالإرادة وبالقوة الإلهية وقدَّم ذاته "فعل المحبة الحر" الذي تؤكده قداسات الأرثوذكسية:

* لأنه فيما هو راسمٌ أن يسلِّم ذاته عن حياة العالم أخذ خبزاً (الباسيلي).
* لأنك في الليلة التي أسلمت فيها ذاتك بإرادتك وحدك وسلطانك (الغريغوري).
* في الليلة التي أسلم ذاته فيها ليتألم عن خطايانا والموت الذي قبله بذاته بإرادته وحده عنا كلنا (الكيرلسي).

لقد جاء فعل التقديم الواحد أزلياً قبل خلق العالم معلَناً في الزمان في العلية، ثم على الجلجثة.

* في العلية كان التقديم حراً وسط الأحباء، وعلى الجلجثة كان حراً وسط الأعداء.
* في العلية كانت الحياة تقدَّم بالإرادة الحرة وكعطاء المحبة لكي يُستعلن ذلك التقديم السري الخفي على الجلجثة.

لقد جمع ترتيب التقديم في ليتورجية الكنيسة كل هذا في التسليم الليتورجي عندما يقول "الكاهن الخديم" وشكر، ويرشم علامة الصليب. وكذلك عندما يقول بارك، وقدَّس، لأن علامة الصليب تعلن المحبة الأزلية.

التجسد في الزمان وفوق أبعاد الزمان:

وُلِدَ الابن له المجد من العذراء القديسة مريم بالروح القدس، بهذه الكلمات نعترف بالإيمان، ونؤكد الميلاد العذراوي، ولكننا نحتاج إلى أن نرتفع إلى المعنى اللاهوتي لولادة إنسان ولادة إنسانية حقيقية بدون زواج، ومن روح الرب الخالق، أي الروح القدس.

إن دخول الروح القدس في تجسد الرب يسوع كخالق لجسده ونفسه الإنسانية لا يترع عن الرب إنسانيته، ولكنه يضع هذه الإنسانية الجديدة في الزمان وكل ما يخص الطبيعة الإنسانية في نفس الوقت فوق الزمان، أي يجعل علاقة المولود من البتول في شركة مع الآب ومع الروح القدس من خلال الاتحاد الأقنومي، فهو فوق الزمان؛ لأنه جاء من أجل هذه الساعة (يوحنا ١٢: ٢). وهذه الساعة ليست ساعة بمقياس الوقت، وإنما هي زمان الاستعلان. ساعة يقول الآب نفسه بصوت من السماء: "مَجَّدْتُ، وَأُمَجِّدُ أَيْضاً" (يوحنا ١٢: ٢٨). ويقول الابن نفسه: "مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ"، ذلك المجد الذي بشَّر به الملائكة الرعاة، وهو ما سطع على جبل التجلي، جبل طابور. هذا المجد يؤكد إنسانية كاملة للرب، ولكنه في نفس الوقت يؤكد أن أحد أهداف تجسد الكلمة ابن الله أن يكون "الإنسان الثاني الرب من السماء" (١ كو ١٥: ٤٧). والتعبير الرسولي "الإنسان الثاني الرب من السماء" هو تعبير مركب:

- الإنسان الثاني = حقيقة تامة
- الرب، وهي لا تعني الإلوهة فقط
- من السماء = نهاية الانفصال بين السماء والأرض.

وما دخول ذلك الإنسان الثاني في البعد السمائي الجديد الذي يعلو على أبعاد

الزمان: الماضي والحاضر والمستقبل؛ إلاَّ لأنه جاء من السماء "نزل من السماء" (قانون الإيمان) لكي يُحضر معه ذلك البُعد السمائي الغائب عن حياة الموتى والمستعبَدين للزمان، فكيف فتح الرب بتجسده هذه الآفاق الجديدة؟ بالاتحاد الأقنومي، ذلك الاتحاد الذي جعله الروح القدس ممكناً، وجعل إنسانية الرب تدخل المجال الروحي الإلهي في استعلان الحبل من العذراء، ثم بعد ذلك في مسحة الرب في المعمودية. الروح الذي كوَّن جسده هو ذات الروح الذي يمسحه لكي يكون المسيح، لا يسوع فقط.

هكذا يجب أن نفهم أن ترتيب التدبير هو ما هو كائن في العلاقة الأقنومية الشخصية بين الآب والابن والروح القدس، وهو خاص بالثالوث وبما هو اقنومي أي شخصي يُعلَن في الزمان من أجل البشر ومن أجل تأسيس علاقة الشركة الجديدة.

لقد كان الحبل من البتول بالروح القدس أمراً شخصياً يعرفه الخاصة من الذين كانوا يعرفون يسوع مثل مريم ويوسف. كان هذا هو أول طريق التدبير، وبعد ذلك جاء استعلان المسيح جهراً، ليس لأن تكوين إنسانية يسوع بالروح القدس لم تكن كافية، ولكن نقل Transportation الميلاد إلى خدمة "المسيح" هو تحوُّل Transformation وهذا التحوُّل هو في نفس الوقت تجلٍّ Transfiguration لأن الميلاد **أساس**، والمعمودية **استعلان**، و**المسحة** هبة تُنقل من الرب إلى البشر.

هنا لا يعمل الرب المتجسد حسب أبعاد الزمان، فبالرغم من أنه وُلِدَ عندما كان أوغسطس قيصر روما، ولكن ولادته الزمانية يجب أن تُعلِن ولادته الأزلية من الآب، ذلك الاستعلان الذي لا يمكن أن يتم سراً، ولا أن يُستعلن بالكلمات وحدها، بل بقبول الروح القدس لكي يعطي نفس الروح للذين يؤمنون به؛ لكي يدخل المؤمنون ذات المجال الروحي الإلهي بنفس الروح القدس الذي صار الابن – بتجسده

منه – الوسيط، "وضامن" العهد الجديد (عب ٧: ٢٢) فهو الذي يضمن Guarantee – بشخصه المتجسد – انسكاب الروح الذي أسَّس الإنسان الثاني، والذي سيسكب الروح في يوم العنصرة على الإنسانية؛ لأنه "آدم الأخير" الواهب الروح المحيي (أع ٢: ١٧ مع ١ كو ١٥: ٤٥). فكيف للزمان أن يتحكم في تدبير التدبير، الزمان الذي شهد السقوط والموت، وهو خير شاهد على عجز الإنسانية وفي نفس الوقت على رحمة ومحبة الثالوث للبشر.

"لم تتركنا عنك حتى النهاية" أو "إلى الانقضاء" بل تعهَّدتنا دائماً بأنبيائك القديسين .. وفي آخر الأيام ظهرت لنا (أي استُعلِنت) أيها الآب بابنك الوحيد" (القداس الباسيلي).

لم يكن تجسد الرب يسوع هو لبقاء الإنسان كما هو تحت قيود الموت والشريعة الموسوية [١]. ولكن ما حققه الوسيط هو أنه:

أولاً: باني البيت، ونحن بيت المسيح الذي بناه بلحمه ودمه وعظامه (عب ٣:

---

(١) لا زال بعض القراء يسألون عن الصلوات التي تُقال بعد الولادة، وهي صلوات لم نعثر عليها في كل كتب خدمة المعمودية في الألف سنة الأولى، فليس لها علاقة بخدمة المعمودية. ولكن ما يجب أن نلاحظه ان الامتناع عن التناول وعن حضور الكنيسة بعد الولادة هو ضرورة من أجل صحة الأم، وهو ما يجعل الكنيسة ترى ضرورة الصلاة بسبب الامتناع عن التناول لا بسبب نجاسة الولادة حسب شريعة العهد القديم، ولذلك يجب قراءة هذه الصلوات مع صلوات أخرى صارت غير معروفة توصف باسم صلاة الطشت "التي تقام في اليوم الثاني" وهي احتفال بولادة إنسان جديد.

ووضع العهد الجديد تحت سلطان العهد القديم يجعل العهد الجديد تابعاً ويجعل "النور" تحت سلطان الظل، والحرف يسود على الروح، وخدمة الموت المنقوشة بأحرف من حجارة أعظم وأهم من خدمة الروح (٢ كو ٣: ٦ – ٨). رجاء من القراء مراجعة كتابنا: "تطور النظرة إلى التطهيرات الجسدية في الطقوس والقوانين الكنسية من العصر الرسولي حتى العصر الحديث" المنشور على موقع www.coptology.com

١ – ٦). هو هيكل الروح القدس الذي كوَّن **أولاً** هيكل الابن "هيكل جسده" (يوحنا ٢: ٢١)؛ لكي يكوِّن به وبواسطته الكنيسة هيكل الله الحي (١ كو ٦: ١٩).

ثانياً: الوسيط هو خادم الأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الرب لا إنسان، هو قدس أقداس السماء الذي صار على الأرض (عب ٨: ١).

ثالثاً: هو وسيط عهد أعظم قد تثبَّت على مواعيد أفضل (عب ٨: ٦)، فقد زال العهد الأول وصار قديماً وشاخ (دبت فيه الشيخوخة) (عب ٨: ١٣).

رابعاً: لقد انتهت فرائض الطعام والاغتسالات "والفرائض الجسدية"؛ لأنها وضعت لوقت الاصلاح أو التجديد (عب ٨: ٨).

خامساً وأخيراً: لقد وُلِدَ بالروح القدس، ومُسح بالروح القدس، وصُلب أي قدَّم ذاته بالروح القدس؛ لأنه على الصليب هو "المسيح" (عب ٩: ١٤). هنا يجب أن نلاحظ دقة التعليم الرسولي: لقد نزع العهد الأول (عب ١٠: ١٩)؛ لكي يتم حسب الدقة "لكي يثبِّت الثاني" (عب ١٠: ٩)، ومصدر هذا كله: "نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة" (عب ١٠: ١٠).

القيامة والإتحاد الأقنومي:

عندما قال الرب يسوع "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الزمان الحاضر أي الدهر" (متى ٢٨: ٢٠). فالمسيح يسوع رب المجد معنا ليس حسب "المعيَّة" التي نراها في البشر، هذه "معيَّة" محدودة، ولكن معيَّة الرب معية:

* الكرمة والأغصان (يوحنا ١٥: ١).
* الرأس الواحد للجسد الواحد (١ كو ١٢: ٢٧).

المسيح هو حياتنا ليس لأننا نفكر فيه فقط، بل لأنه هو الذي منه نُولد جديداً كولادته السماوية، هو "الواحد الذي يجمع إليه الجميع"، وعندما استخدم الرسول في (يوحنا ١٢: ٣٣) كلمة "أجذب" أو "أرفع"، فقد كان يقصد ارتفاع الإنسان إلى الحياة السماوية، أو حسب تعبير الشهيد أغناطيوس الأنطاكي "الصليب هو الرافعة" التي ترفعنا إلى فوق بقوة الروح القدس.

إن تنوع الأفعال الديناميكية مثل "يجمع كل شيء" (أفسس ١: ١٠)، ويرفع الجميع أو "يجذب الجميع"، يجب أن يُفهم أيضاً على أنه حركة اختيار الله "اختارنا فيه قبل خلق أو تأسيس العالم" (أفسس ١: ٤). ولذلك، فإن ما سبق الزمان لا يجعل للزمان مكاناً في ترتيب التدبير. وما أُعلن في التاريخ والأيام هو في الأصل سابقٌ على التاريخ والأيام، وعلى هذا الأساس نفسه يشرح العهد الجديد العهد القديم ويشرح النور سبب وجود الظل.

لقد جاءت القيامة بأهم ما يحدث للإنسانية، أي إنسانية يسوع:

أولاً: الخلاص من الفساد، فقد دُفن الرب في القبر، ولكن جسده لم ير فساداً (أع ٢: ٢٥ – ٢٦).

ثانياً: هزيمة الموت التي تمَّت على الصليب، صارت هزيمة أبدية بالقيامة؛ لأن الذي مات "داس الموت بالموت" وكسر شوكة الجحيم (١ كو ١٥: ٥٦).

ثالثاً: وصار حضور المسيح يسوع حضوراً حياً، أي ذلك الحضور المتجسد الذي لمسه معلم الأرثوذكسية أثناسيوس، وهو حضور الحياة، هو إشراقة نور الخلود في ظلمة الموت.

لقد جاءت القيامة أيضاً بأهم تجديد في الخدمة (العبادة)، أي في الصلاة وفي

كمال عمل الوساطة والشفيع يسوع المسيح، إذ نقلت "ملء المسيح" إلى حياة الكنيسة، فقد صار هو "خادم المسكن الحقيقي"، وصار رأس الجسد الحي الذي يهب الحياة لكل عضو من أعضاء جسده.

قبل القيامة قال الرب "أنا هو القيامة والحياة" (يوحنا ١١: ٢٥)، ولكن ذلك لم يكن مجرد كلام، بل استعلان سبق تحقيق الانتصار، لأن الانتصار كامن في شخص يسوع المسيح نفسه.

عندما يفرض التاريخ سطوته على أقنوم الابن المتجسد:

عندما نسأل كيف أعطى الابن جسده قبل الصلب، وعندما نرى خميس العهد يسبق جمعة الصلبوت، ثم أخيراً القيامة، نكون قد قسَّمنا المسيح يسوع، ولم نأخذ في الاعتبار أن الشخص هو الذي يجمع في ذاته كل هذه الأحداث، فهو ذاته الجالس في العلية، وشخصه هو المعلق على الصليب ويقدم العزاء للص الذي آمن، وهو نفسه الذي جاء بلعازر من الهاوية، وهو الذي "سبى الجحيم"، وهو الذي قام.

لا يخضع الرب لترتيب أحداث تاريخية تفرض سطوة الزمان على خالق الزمان، ولكن يخضع الزمان لترتيب التدبير، ولعل أول ترتيب في التدبير ليست **مناسبة تقديم عطية أو نعمة**، بل فيض النعمة من الشخص، من أقنوم الكلمة المتجسد.

* النعمة سبقت التاريخ؛ لأنها كانت في إرادة الثالوث ومشورة المحبة الأزلية.

* النعمة تعطى حسب ترتيب الاستعلان، وليس حسب ترتيب المناسبة. والفرق عظيم؛ لأن الاستعلان يجمعه أقنوم الابن المتجسد الذي وإن كان قد أخذ في ترتيب التدبير، نسخ الفصح اليهودي في يوم الخميس، فإن هبة الجسد والدم هي هبة

حياة الرب نفسه، وهي هبة أقنومية وليست هبة مناسبة، وهي عطية الحياة من الذي قال قبل خميس العهد وجمعة الصلبوت: "أنا هو القيامة والحياة".

القيامة والعشاء السري:

علينا أن نترك ذلك التعبير الوافد إلينا من الإرساليات البروتستانتية، أي تعبير "العشاء الأخير"؛ لأن العشاء الأخير ليس هو عشاء الرب في العلية، بل هو آخر قداس قبل يوم الدينونة.

ولكن جلوس الرب مع التلاميذ في العلية رسم صورة أو أيقونة العشاء السري، عشاء الملكوت، وهو لذلك عشاء يُعطي فيه الرب حياته لكل من يمد يده ليأخذ.

"مرةً واحدةً":

عجيب "ترتيب التدبير"؛ لأن الشخص هو ذاته لا يتكرر، وهو ذاته غير قابل للتكرار، ولذلك فإن العلاقة، أي الشركة هي ممدودة دائماً، فما أُسِّس مرةً واحدةً لا يتكرر، والنهر يظل واحداً رغم تكرار الشرب.

"مرةً واحدةً"، والقيامة:

لقد جاءت القيامة كما ذكرنا بتجديد الناسوت وخلوده، بل وتأليه الناسوت، فلم يعد الجسد هو ذلك الجسد القابل للموت والضعف والانحلال. صحيح أن الضعف قد بقى فيه رغم الإتحاد، وظل قابلاً للموت رغم قوة الحياة، ولكن التدبير يسير مع ترتيب العطية وحسب العطية، وما هو غير مُعلن يُعلن في كمال التدبير عندما

يقوم من الموت، بل ويصعد إلى السماء.

لكن القيامة داست الزمان لأن الإنسان بالزمان يشيخ، ولأن الزمان يجلب مع تقدم العمر الموت والضعف، ولكن كل ضعفات الجسد قد أُبيدت من الناسوت (القديس أثناسيوس، الرد على الأريوسيين، المقالة الثالثة: ٥٦ – ٥٧).

ويبقى السؤال: ماذا تعني القيامة بالنسبة للإفخارستيا؟

أولاً: تعني أن الحياة العديمة الموت والخالدة هي التي تُقدَّم، وهي حياة ليس فيها "عتق الزمان" لأنها فوق الزمان رغم وجودها في الزمان

ثانياً: عندما نقول إن "جسده لم يرَ فساداً"، بل ظل فوق الفساد رغم الموت ورغم انفصال النفس عن الجسد "يا أبتاه في يديك أستودع روحي" (لوقا ٢٣: ٤٦)، فإننا نعني أن القيامة هدمت ذلك الانفصال. لقد زال الموت تماماً، فلا يجب أن تغيب هذه الحقيقة الأبدية عنا، تلك الحقيقة التي يحملها قول الرب نفسه: "قلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى حدث (كان) تؤمنون" (يوحنا ١٤: ٢٩).

لقد عاين الأنبياء آلام الرب وقيامته، فكيف لا يعرف رب الأنبياء ما عرفه الأنبياء. لقد قال الإنجيلي إن الرب بعد العشاء "خرج وهو عالم بكل ما يأتي عليه" (يوحنا ١٨: ٤)، وقال لتلميذي عمواس: "أيها الغبيان والبطيئا الفهم (القلوب) في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء، إن كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده، ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب" (لوقا ٢٤: ٢٥ – ٢٧).

إفرامية خميس العهد

سبحان القدير
رتَّب التدبير
سلَّم الحياة
للخاصة المخلصين
سبحان الملك
سبق حبه
الزمان العتيق
نطق لحمه
بحبه الأزلي
سبق عهده
زمان الآلام
جاد الرحمن
بجسده ودمه
للحياة والغفران

سكب خمره في الكأس
قبل أن يشرب الكأس
في البستان

في العلية تجلى
عطاء القدرة
سكب محب البشر
حياته قربان

يوم عهدك
تجلى في الزمان
شق الأزل
حجاب الأيام
وحَّد حبه
الله والإنسان
في شخصه
جاد الحنان
بعهد شكر
لبني الإنسان

السجود والإكرام
لمن سجد
وخدم بغسل
قذارة الإنسان

أيها الثالوث

الفائق حبه
نزلت الينا
في الابن الوحيد
رفعتنا من مزبلة
العبيد
في يسوع
تذوقنا حب فريد
لا مثيل لحبه
فقد صار مثلنا
بتجسده
أحبنا
بموته
حررنا
بقيامته
أحيانا
خلَّدنا